لغة الشعر العراقي
في القرن التاسع عشر

بقلـــم
ابراهيم الوائلي

المدرس في كلية الآداب
جامعة بغداد

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٦٥

مكتبة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com/

893.782
W149

لغـة الشعر العراقي
في القرن التـاسع عشـر

30934 P

سياسة وثقـافة :

يعد القرن التاسع عشر فترة امتداد لما قبله من حيث اسلوب الحكم وطبيعة المجتمع والحياة فى العراق • تلك الفترة التى اتبع فيهـا الولاة العثمانيون طريقة اسلافهم فى الاخذ دون العطاء او فى الاستئثار بالكثير من المنافع ومثلهم الموظفون الآخرون الذين ليست لديهم الكفاية والنزاهة فى العمل • وقد شهد هذا القرن تسعة عشر والياً[1] او اكثر فى بغداد ما عدا الموصل والبصرة واستوعب احداثا كثيرة وثورات قبلية فى الجنوب والشمال من العراق الى جانب الحروب المتتابعة التى كانت الدولة تدخل فيها وقد تخرج منهامنهوكة القوى فلا غرابة ان يكون موسوما بذلك الطابع الذى اتسمت به القرون السابقة خلال فترة الحكم العثمانى فلا استقرار ولا هدوء حتى فى السنوات التى اسندت فيها ولاية بغداد الى (مدحت باشا)[2] ذلك الرجل الذى عرف بميله الى الاصلاح فان ايام ولايته لم تسلم من حوادث مقلقة في العراق وفي الاحساء[3] ، وقد أدى كل ذلك الى صعوبة العيش لدى معظم الطبقات ومن بينهم رجال العلم والادب •

وبديهى ان مثل هذا الحكم المهزوز المضطرب ينعكس اثره على الثقافة العامة والحياة العلمية والادبية كمـا ينعكس اثره على الحالة الاجتماعية التى يخضع السكان لعواملها ومؤثراتها • فقد كانت الثقـافة العامة خلال القرن التاسع عشر تستند الى الجدر القديمـة التى تصدع الكثير منها بين الاحداث والكوارث ولم تكن الدولة العثمانية نفسها لتسهم

---

(١) سالنامة بغداد ـ الدفعة ٢٢ لسنة ١٣٢٩هـ ١٩١١م مطبعة الشابندر ـ بغداد ١٣٢٧ رومى •

(٢) ولى بغداد سنة ١٢٨٦هـ ١٨٦٩م ونقل منها سنة ١٢٨٩هـ ١٨٧٢م •

(٣) الشعر السياسى العراقى فى القرن التاسع عشـر للمؤلف ، ص٤٤ ـ ٤٥ بغداد ١٩٦١م •

مكتبة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com/

بما يجب الاسهام به لدعم الثقافة العربية والاشراف على المدارس الدينية اشرافا يعود بالنفع حتى المدارس الدينية فى الاناضول والاستانة وغيرهما من الانحاء التركية فان هذه الاخرى ليست الا صورة من صور الانحطاط فلم تخرج الا تلاميذ مبتدئين يتولون الوظائف الدينية اما العالم الكبير منهم فانه لا يحسن غير النقل والاختصار والجمع مع ركاكة اعجمية[٤] ، وقد سيطر الجهل والتعصب على من يدعون العلم فى الاستانة حتى صاروا لا يهتمون برجال العلم من العرب ولا يعجبهم النظر اليهم[٥] .

وقد استمرت المدارس الدينية على حالتها من الانحطاط وعدم النظام، وفى اواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر شعرت الدولة بضرورة الاخذ بالنظم الحديثة غير انها لم تفكر باصلاح المعاهد القديمة بل تركتها وشأنها وأنشأت معاهد جديدة مستقلة من عسكرية ومدنية وكان التعليم فيها كلها باللغة التركية ثم الفرنسية[٦] .

اما العراق فلم يكن له نصيب من هذا التطور سوى بعض المدارس (الرشدية) الابتدائية والعسكرية التى شهدها النصف الثانى من القرن التاسع عشر وهى على مافيها من ضعف كان التدريس فيها يملى باللغة التركية حتى النحو والصرف[٧] وكانت لا تفتح أبوابها لكل من يرغب من السكان[٨] اما طلابها فقد كانوا لا يعرفون الكتابة حتى باليسير من اللغة العربية[٩] لذلك كان مايقرب من ثلثي الاهالي لايعرفون قراءة ولا كتابة[١٠]

---

(٤) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ١ : ٣١١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤م .

(٥) انظر غرائب الاغتراب لابى الثناء الآلوسى ص١٦٩

(٦) حولية الثقافة العربية ـ لساطع الحصرى ـ ص : ٤ـ٧

(٧) الشعر السياسى العراقى .. ص٩٧

(٨) العراق ـ دراسة فى تطوره السياسى ـ لآير لاند ـ ترجمة : جعفر خياط ص : ٨٨

(٩) اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث ـ لونكريك ـ ترجمة جعفر خياط ص٣٠٢ ط٢

(١٠) جريدة (الزوراء) العدد : ٥٦٩ السنة السابعة ١٢٩٢هـ

مكتبة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com/

ان لم نقل : ان نسبة المتعلمين فى اواخر القرن التاسع عشر كانت تتراوح بين الخمسة والعشرة بالمئة[١١] .

واذا كان ثمة فضل على اللغة العربية فى بقائها وسيلة من وسائل التعبير فى العراق فانما هو للمدارس القديمة التى بقيت تصارع الجهل والعجمة من كل جهة[١٢] فان هذه المدارس على مافيها من نقص وعلى مايعانيه طلابها ومدرسوها من صعوبة فى العيش ووسائل الراحة[١٣] وعلى مابها من حاجة للكتب اسهمت فى بناء نهضة علمية وادبية فى بغداد والنجف والحلة والموصل وغيرها من حواضر العراق .

واذا كانت هذه النهضة تعتمد ـ فى الغالب ـ على السطوح والشرفات لا الاسس والدعائم ، وعلى ما كان يلقيه الملقنون لا الشراح والمفكرون فانها استطاعت أن تصل الحاضر بالماضى وتدافع عن لغة القرآن والحديث[١٤] وان تثق كل الثقة بأن مابقى منها متماسك فى مهب العواصف المتتابعة فى العراق ، وقد ظهرت خلال هذه الفترة ـ واعنى بها فترة القرن التاسع عشر ـ كتب باللغة العربية ودواوين كثيرة وكان القليل من هذه الدواوين والكتب مايستطيع ان يرتفع الى ماحول القمة من بين الكتب والدواوين التى ظهرت فى اواخر العصر العباسى كما ظهر بعض اللغويين والشراح والمعلقين ونقاد الشعر ولكن على طريقة القدماء من نقد الكلمة والبيت والمعنى كالذى فعله عثمان بن سند البصرى فى نقد قصيدة من قصائد الشيخ صالح التميمي[١٥] ، وقد قالوا عن التميمي هذا : انه كان مطلعا على انساب

---

(١١) اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث ص : ٣٠٢

(١٢) الشعر السياسى العراقى .. ص٩٩

(١٣) يقول ابو الثناء الآلوسى معبرا عن حاجته : « .. حتى كدت آكل الحصير واشرب عليه مداد التفسير .. » غرائب الاغتراب ص : ٢٥

(١٤) الشعر السياسى العراقى .. ص٩٢

(١٥) مطالع السعود ـ الورقتان : ١٢٣ و١٢٤ من نسخة دار الآثار ببغداد

العرب وأيامها لا يحفظ من الشعر الا جيده ، ولا قرىء شعر بين يديه الا عرف قائله سواء أكان جاهليا ام مخضرما ام اسلاميا أم مولدا[١٦] ، بل كان في الشعراء انفسهم من يستطيع ان يحدد نظرته الى الشعر ويفهمه على ضوء المقاييس القديمة من جزالة ووضوح كقول السيد ابراهيم الطباطبائي:

فقـــل قول من يرضى الرضى فيعتلى
ودع قول من يصفى الصفى فيسفل[١٧]

وكقول الشيخ صالح التميمى :

ولست ارى المصنوع الاّ مؤمَّرا
ولســـت أرى المطبـوع الا مؤمِّرا
ومـــا الشـــعر الا ما أبانت صدوره
قوافيه لا ما السمع فيه تحيّرا[١٨]

وكان فى هؤلاء الشعراء من اطلع على أهم الكتب النحوية كالاخرس البغدادى فانه قرأ كتاب سيبويه على أبى الثناء الآلوسى فاذن له واجازه[١٩] وان هذا الكتاب كان مخطوطا فى مكتبة الشاعر وهو بخط ابن خروف وان بعض أحبائه قد طلبه منه ليقرأه فلم يسمح به لشدة حرصه عليه ولانه :

ان اطلقـــوا لفظـــة الـكتاب فمـــا
يشـــار الا اليـــه فـــى الـكتب
وغـــيره لا يفيـــــدنى اربـــا
وايـن كتـب النحـــــاة من اربـى
لان هـــــذا الامام اعلـــم خلق الله
فـــى نحـــو منطـــق العـــرب

---

(١٦) مقدمة ديوانه المخطوط بقلم ابنه الشيخ كاظم الورقة : ٢ والمسك الاذفر لمحمود شـكرى الآلوسى ص١٥٠ مطبعـــة الآداب ١٩٣٠

(١٧) ديوان الطباطبائى ٠ ص٢٠٢ مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٣١هـ

(١٨) ديوان الشيخ صالح التميمى ٠ الورقة ٢٠

(١٩) المسك الاذفر ص١١٦

واذاء رفنا ان الذى طلب الكتاب (داود باشا) صاحب الفضل على الشاعر وان الشاعر مستعد لنسخه ولا يبالى بشدة التعب[٢٠] ادركنا حرصه على هذا الكتاب ومقدار اهتمامه به وربما كان الشيخ صالح التميمى مبالغا فى مدح عثمان كاتب الديوان حين قال :

ان جـــد فى النحـو ابو هـــاتف
لـــم تلق فى بغـــداد الا نحـــاة
وطالمـــا ألبس قومـــا بهـــــا
ثيـــاب آداب وكـانوا عـــراة[٢١]

ولكنه على كل حال كشف لنا عن شيء من الثقافة عند بعض الناس .

اما عبدالباقى العمرى فان فى شعره مايدل على أنه تتبع ومارس دراسة بعض العلوم العربية وقرأ الكثير من شعر القدماء واطلع على الفية ابن مالك فى النحو فقد ضمن شعره بعض قصائد القدماء كمعلقة امرىء القيس ولامية السموأل ومقصورة ابن دريد[٢٢] واخذ من ارجوزة ابن مالك فى النحو واستخدمها فى وصف (التلغراف) ومدح السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٧٧هـ فقال منها :

ذو احـــرف مـن ابجـــد وهوّز
(تقـــرب الاقصـى بلفظ موجز)
ولا يجيء الحـرف منـــه متصـــل
(الا مع الحرف الذى به وصل)[٢٣]

ان هذا العمل يدل على ان الشاعر لم ينس نفسه من التزود والاطلاع . وكذلك السيد جعفر الحلى فان فى شعره لمحات تدل على انه كان

---

(٢٠) الطراز الانفس ص٦٩
(٢١) ديوان التميمى الورقة ٧٧
(٢٢) الترياق الفاروقى ص٣٠٨ـ٣١٢ و٣٥١ـ٣٥٢ و٣٧٢ـ٣٧٤ مطبعة محمد مصطفى ـ مصر ١٣١٦هـ
(٢٣) المصدر نفسه ص ٣٥٣ـ٣٥٦

من النابهين ومن ذوى الملكات العلمية كما فى قوله :

اهل حرص قد كسروا الفلس جمعين
وصـــاغوه أفلســـا وفلوســـا[٢٤]

وقولـه :

نصلى عـــلى الهـــادى النبى وآله
ولفظ (على) خوف التباعد يحذف[٢٥]

فهو في الاول صرفي يعرف جموع التكسير وفي الثاني نحوي يشير الى الجدل بين النحاة فى عطف الظاهر على الضمير المجرور والى الخلاف فى اعادة حرف الجر او عدم اعادته[٢٦] • ومثل هذه اللمحات الدالة على شيء من المعرفة غير قليل في دواوين الشعراء ، ونحن لا يسعنا الا ان نعترف لبعض هؤلاء الشعراء بالاطلاع والتزود غير ان هذا القليل ــ أو الكثير ، من الاطلاع لم يهذب لغة الشعر مما نظموه لتسلم هذه اللغة من الاخطاء التى سلم منها الشعر القديم ولا سيما فى العصر الاموى والعصر العباسى فقد وقع غير قليل منهم فى هفوات لغوية ونحوية وعروضية بعضها لا سبيل الى تصحيحه وبعضها يمكن تخريجه على لهجات قديمة شاذة تجنبها شعراء القمة وما دون القمة الى جانب مظاهر الركـة فى الاساليب والاشكال ، وتهافت المعانى وابتذال الصور • وليس بغريب على شعراء القرن التاسـع عشر فى العراق ان يكونوا عرضة للهفوات والسقطات فى اللغة وما يتصل بها من العلوم اللسانية بعد أن عرفنا الكثير من مظاهر عصرهم الذى عاشوا فيه ولا سيما مظاهر الثقافة والاطلاع فقـد كان عصرهم امتـدادا لفترة طغت فيها العامية وانتشرت فيها الكلمات والمصطلحات الدخيلة ولم تكن دراسة الاصول والقواعد عندهم لتنعكس على التطبيق مهما كانت الاصول

---

(٢٤) سحر بابل ص٢٦٣
(٢٥) المصدر نفسه ص٣٢٢
(٢٦) يراجع باب (عطف النسق) فى شروح الفيـة ابن مالـك ، وكشف الطرة عن الغرّة لابى الثناء الآلوسي ص ١٢ــ١٣ •

والقواعد ومهما كانت الدراسة ، وقد شهدنا فى عصرنا غير قليل من الملمين باللغة وقواعد النحو يلحنون فى الاعراب ويخفقون فى تطبيق القاعدة فلا غرابة أن يكون شعراء القرن التاسع عشر مصابين بهذا الداء .

وليس من الضرورى ان نتبسط فى وصف شعرهم من حيث اجترار الكلمات والتعابير واصطناع الاساليب ومجاراة القدماء من غير لزز فقد كان تقليدهم يبدو فى كثير من الاحيان مهزوزا مضطربا ، وكانت الكلمات البدوية القديمة تشيع عندهم شيوعا مفرطا وقد تكون معانى بعضها غير واضحة فى اذهانهم فهم يكثرون من ترديد : هذيم وسعد والعقيق واللوى والمنحنى وسلع ورامة وحاجر ولعلع ويبرين وغيرها من الاماكن البدوية العربية التى يجهلون مواقعها جغرافيا والتى لم تكن لهم صلة بها سوى انها وردت فى أشعار القدماء ، أما السماك والعيوق وكيوان وما أشبهها من النجوم فهي كلمات تطرد في مدائحهم ومراثيهم ، ولا سبيل لنا الى استقصاء ذلك فى دواوينهم الكثيرة بل لا حاجة الى هذا الاستقصاء أو الاستعراض مادام البحث هذا يكاد يكون مقصورا على المآخذ التى لم يسلم منها شعرهم من حيث اللغة والنحو والصرف وما أشبهها من وظائف الشعر الضرورية عدا الاشكال والموضوعات ، واذا كان بعضهم قد استطاع ان يهذب لغته من الاخطاء الى مدى بعيد امثال عثمان بن سند البصرى والسيد ابراهيم الطباطبائى والسيد محمد سعيد الحبوبى فان الكثير منهم لم يسلم من الوقوع فى الاخطاء .

وقد يكون من الصعب ان نتتبع شعراء القرن التاسع عشر جميعهم وان ندرس كل مانظموه لسببين اولهما : ان كثيرا من هذا الشعر لا يزال قيد المخطوطات التى يكسوها الغبار فى البيوت المظلمة ، وثانيهما : ان ما نشر من هذا الشعر فى الدواوين والمجاميع والدراسات يحتاج الى زمن غير قليل لقراءته فضلا عن دراسته والوقوف عند مآخذه الكثيرة ، يضاف الى ذلك ان كثيرا من هؤلاء لا يستحقون الدراسة فى حدود الذوق الادبى حتى فى أبسط صوره لانهم نظامون لا يعرفون من الشعر الا كونه موزونا

مقفى ، لذلك لا يمكن الوقوف عند هؤلاء واولئك جميعا حتى فى الدراسات المطولة الشاملة فقد وجدنابعض النظامين يسرف فى عاميته ويستعين على غرضه بالكلمات المبتذلة الدالة على الضحالة كقول السيد عبدالجليل البصرى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ فى مدح بعض السلاطين :

جدلى واطلق اســـر نخلى من أذى

(الميرى) معافى لم يزل كمؤبد(*)

فكلمة (الميرى) محرفة عن كلمة الاميرى بمعنى : الضريبة ، وكلمة (معافى) محرفة عن كلمة (معفو) وكلتاهما من الالفاظ العامية التى شاعت فى القرن التاسع عشر ، والبيت كله من أدنى الشعر وأحطه ، وكقوله :

تباركت يا مولى الملـوك الاعاظـم

و(عزيت) يامبدى الجميل وراحمى(٢٧)

فقد تأثر الشاعر بالتعبير العامى : (عزيت جليت) • وهى لهجة من يقلب الحرف الثانى من المضعف ياء ولكنها لهجة ضعيفة شاذة(٢٨) • ولعل الشاعر لم يعرفها في أصلها وانما جاءته عن طريق العامية •

ويجمع محمد سعيد التميمى (الرّزية) على (الرازيات) فيقول :

تترى علينـــا (الرازيات) وطالمـا

قد أفجعت بالفـــرقة الاطهـار(٢٩)

وربما كان : بالرفقة الاطهار •

ويقع الشيخ عباس العذارى فى مثل هذا الخطأ فيقول :

ان فيـــه الســيد النعمـــان مـــن

ادركت فيه العـــلى أقصى الامال(٣٠)

من غير مدّ فى همزة (الآمال) ولا سبيل الى مدّها عروضيا •

(*) روض الخل والخليل ـ ص١٣٥ ـ ١٤٠ طبعة مصر

(٢٧) المصدر نفسه ص١٤ وص٢٠ من طبعة الهند

(٢٨) الكتاب لسيبويه ٢ : ٤٠١ ط١ بولاق ١٣١٧هـ

(٢٩) المسك الاذفر ص٤٤

(٣٠) المصدر نفسه ص٥٠

ان امثال هؤلاء النظامين كثيرون لا يمكن ان نأتى حتـــى ببعض النماذج من هفواتهم وسقطاتهم لذلك سنكتفى بعرض مثل هذه النماذج مما قرأناه فى شعر المعروفين منهم ممن اسهبت الدراسات المعاصرة لهم والحديثة في اطرائهم ومدحهم والترجمة لهم من أمثال : عبدالباقي العمري والاخرس البغدادى والسيد جعفر الحلى والشيخ صالح التميمى وعبدالغنى الجميل •

لغـــة الشعراء :

لقد كانت لغة هؤلاء ـ الكبار ـ غير سليمة ما فى ذلك شك فقـــد اضطربت المفردات على ألسنتهم واستعملوا بعضها مكان بعض وحملوا بعضها معانى لم يستعملها الا عامة الناس وغيروا وحرفوا وجاؤا بشىء من مصطلحات عصرهم الدالة على التأثير الاجنبى كما استعملوا بعض الالفاظ التركيـة ـ وان كانت قليلة جدا فى شعرهم ـ ولا سيما الذين اتصلوا بالدولة عن كثب ، اما استعمال الفعل الثلاثى مكان الرباعى والرباعى مكان الثلاثى وتغيير بنية بعض الافعال وجزم المضارع من غير جازم وابقاء المجزوم على حالته قبل الجزم ولا سيما فى الافعال المعتلة واستعمال الجموع والمصادر غير الصحيحة والاكثار من لغة أكلونى البراغيث وعدم العناية باستعمال حروف الجر فى مكانها الذى وضعت له فذلك كله مما شاع فى شعرهم ، وربما كان فى النماذج الآتية ـ وهى ليست على سبيل الحصر ـ ما يكشف عن تلك الهفوات التى ذكرناها • قال العمرى :

وآل زبيـــد صولجـــان رماحهـم
(دعا) رؤسا كعب جماجمها كره[٣١]

فاستعمل الفعل (دعا) بمعنى : ترك وهو استعمال عامى • وكرر هذا الفعل فى قوله :

بسطوة (دعت) الاطـواد راجفـــة
دمرتـم محصنات الروس تدميرا[٣٢]

---

(٣١) الترياق الفاروقى ص : ٢٤١
(٣٢) المصدر نفسه ص : ٣٨٥

وجاء بالرباعى مكان الثلاثى فى بيت ركيك فقال :

صفوح كسا كعبـــا ببردة عفـــوه

واحقن منهم كـم دم كان اهدره[٣٣]

والصحيح : حقن • ومثله الاخرس فى قوله :

تصـــدى ظبى لعلـــع فـى تلافى

واسلبنى التبصر حـــين صـدا[٣٤]

والصحيح : سلب ، زيادة على استعمال (فى) مكان (اللام) • وقوله :

اراش ســـهام مقتلـــه غـــرير

اذا أرمى بهـــا قلبـــا أصابا[٣٥]

والصحيح : رمى ، وجاء الثلاثى مكان الرباعى فى قول الاخرس ايضا :

ولقد تعبت فخذ لنفســـك راحـــة

واطلق عنان الانس مـن تقييده[٣٦]

فوصل همزة (اطلق) وحقها القطع • وفى قوله :

و (اعلى) على رغـــم الاعادى قدره

وانصره انك سيدى من ينصـر[٣٧]

فوصل همزة (اعلى) وهو رباعى زيادة على ابقائه حرف العلة الواجب الحذف لانه أمر ، وقد الجأه الى هذا الصنيع فى البيتين ضرورة الوزن • وجاء بالماضى الثلاثى مكان الرباعى فى قوله :

طربنـــا واطربنـا الانام بمـــدحه

فهـل (ديرت) الصهباء للندماء[٣٨]

---

(٣٣) المصدر نفسه ص : ٢٤٢

(٣٤) الطراز الانعس ص : ٨٣

(٣٥) المصدر نفسه : ص : ٤٣

(٣٦) المصدر نفسه ص : ١٢٢

(٣٧) المصدر نفسه ص : ١٦٨

(٣٨) المصدر نفسه ص : ١١

والصحيح : اديرت •

ولم يسلم الشيخ صالح التميمي من هذا الصنيع فقال :

عهدناك تعفـــو عن مسيء تعـــذرا

ألا فاعفنا من رد شـــعر تنصرا[٣٩]

فوصل الهمزة من فعل الامر وهو رباعى لانه من (اعفى) لا من (عفا)•

وقال ايضا :

دع نهر عيسى وحدثنى عن النيـــل

واجر الحديث باجمال وتفصيل[٤٠]

والصحيح : أجرِ لانه رباعى يقتضيه المعنى •

ويحذف السيد جعفر الحلى ياء (نسى) ويجعل الفعل مثلى (سعى) فيقـول :

نســـت مـــا بيننـــا ســـــلمى

عهـــودا لســـت ناســـيها[٤١]

كما اقتضته الضرورة ان يسكن خبر ليس فى البيت نفسه •

ويسهل العمرى همزة (وطىء) فيقلبها الفا وهو استعمال عامى فيقول:

طـه الـــذى للعـــلا وطاهـــا

وصهـــوة العـــزة امتطـــاها[٤٢]

وتأتى كلمة (مهاب) بدل (مهيب) فى شعر الاخرس اكثر من مرة فيقـــول :

مهـــــاب اذا أنت أبصرتـــــه

فتحسبه مـن اســـود الشرى[٤٣]

---

(٣٩) ديوان التميمى ص الورقة : ٢٠

(٤٠) المصدر السابق الورقة : ٤٥

(٤١) سحر بابل ص ٤٣٩

(٤٢) الترياق الفاروقى ص ١٣٧

(٤٣) انظر الطراز الانفس ص ٢٣ و٤٣ و٤٤ و٥٧ و٦٠

زيادة على اقحامه الفاء من غير سبب .

وقد جاءت هذه الكلمة في شعر السيد حيدر الحلي فقال :

اســـــلم وحضـــرتك المهـــــابه
للنـــاس أمـــن أو مثـــابه[٤٤]

واستعمل السيد جعفر الحلي كلمة (معبس) بدلا من (عابس) فقال :

ان الزمـــان أتى بوجـــــه باســـم
من بعد ماولى بوجـــــه معبس[٤٥]

وجاءت كلمة (مسبول) بمعنى (مسبل) و (مذلول) بمعنى (ذليل) في شعر عبدالباقي العمري[٤٦] .

ويضع السيد جعفر الحلي كلمة (الآخر) بدلا من (الأخرى) فيقول :

حشاشتان التقتـــا كـــل تـــرى
أن ليس في الآخـــر كالذي بهـــا[٤٧]

ويجمع (نهج) على (نهاج) فيقول :

هداكم ربكـــم يا ركب نجـــد
وارشدكم الى الطرق النهاج[٤٨]

وكلمة (قدح) بفتح الدال على (قداح) فيقول :

يهدى لمـأدبة لهـا ســعة الســما
ركدت بها عدد النجوم قداح[٤٩]

يريد بها (الأقداح) لان الجمع الذي استعمله مفرده (قدح) وهو السهم ولا معنى له في البيت .

---

(٤٤) ديوان السيد حيدر الحلي ص ٦٩
(٤٥) سحر بابل ص ٢٦٥
(٤٦) راجع الترياق الفاروقي ص١٦٧
(٤٧) سحر بابل ص : ٧١
(٤٨) المصدر نفسه ص : ١١٠
(٤٩) المصدر نفسه ص : ١٢٠

ويجمع (عَبل) بفتح العين على (عُبل) بضمها ، والصحيح عبال فيقول :

يساعدني ربي على حمل حبها
اذا انكشفت منها سواعدها العُبْل[٥٠]

ويستعمل (خُدوع) بضم الخاء مصدر الفعل (خدع) والصحيح : خداع فيقول :

محضتك ود النفس غير مخادع
وفي ود أبناء الزمان خدوع[٥١]

أما العمري فقد اثرت فيه العامية ففتح الهاء وسكن الراء من كلمة (النهروان) فقال :

غليله طالما اوردته علقا
يوم (النهَروان) من نهر فما انتفعا[٥٢]

ولا سبيل الى النطق الصحيح لضرورة الوزن • ومثله السيد جعفر الحلي في قوله :

انظر الى (شجرة) قد جلّ مغرسها
وعن احاطة وهم فيه قد كبرا[٥٣]

فسكن الجيم من (شجرة) لضرورة الوزن •

وتؤثر الاساليب الدخيلة والعامية فيجنح هؤلاء الشعراء الى استعمال الكلمة استعمالا مبتذلا كما فعل الأخرس في قوله :

اذا عدوا أكابر كل قوم
فاول ما جناب علاه عدا[٥٤]

واستعمال (جناب) من أساليب التفخيم الدخيلة ، وقد كررها في

---

(٥٠) المصدر نفسه ص : ٣٦٦
(٥١) المصدر نفسه ص : ٢٩٠
(٥٢) الترياق الفاروقي ص : ٩٩
(٥٣) سحر بابل ص : ٢٢٠
(٥٤) الطراز الانفس ص : ٨٤

قوله :

عـــدت منصورا بجنـــد ظافـــر
وجناب الحق مولانا النصير[٥٥]

ويعلّل بكلمة (حيث) ويستعمل كلمة (داعيكم) بتأثير من العامية أيضا فيقول :

ان أيامـــك اعيـــاد المنـــى
حيث كـــانت للامـاني موســـما
نظـــم الشـــكر لـكم داعيكـــم
فتقبل فيـك مـا قـد نظمـا[٥٦]

وتأتي كلمة (عرض حال) في شعر العمري فيقول :

عرض حالي لا غرو ان طال اني
لذت في جاهه العريض الطويل[٥٧]

ويتأثر التميمي بالعامية فيستعمل الطهر بمعنى (الختان) كما في قوله :

رأت طهره والطهر للرجس دافع
بدارا وبعض القوم بالطهر سوفوا
لذاك أتى داعي العـزيز مؤرخـا
زهـا مصرنا لمـا تطهـر يوسف

والقصيدة نظمت بمناسبة ختان يوسف بن داود باشا[٥٨] .

ومن الـكلمات الدخيلة ما جاء في قول العمري :

فكـم نصبوا فوق (الطوابي) بيارقا
ورايات نصـر بالنجيـع معصفره[٥٩]

---

(٥٥) المصدر نفسه ص : ١٧٣
(٥٦) المصدر نفسه ص : ٣٧٤
(٥٧) الترياق الفاروقي ص : ١٠٥
(٥٨) ديوان التميمي الورقة : ٣٣
(٥٩) الترياق الفاروقي ص : ٢٤١

ولو قال : القلاع أو الحصون بدل (الطوابي) لما تغير المعنى والوزن •

اما اختطاف حروف العلة من غير التقاء ساكنين فهو مألوف عند هؤلاء الشعراء وهو اختطاف لابد منه لتستقيم الأوزان ولـكنه غير مألوف في الشعر الأصيل وربما كان هذا من تأثير اللهجات العامية ، وقد جاء هذا الاختطاف في شعر عبدالباقي العمري فقال :

كعروس بدت بوجـــه جميـــل
تسبى شمس الضحى بخد أسيل

ولابد هنا من خطف ياء (تسبى) لتستقيم التفعيلة • وقال :

ليس لي بعـــد حبـــه من نقـير
يغنى عني شيئا ولا من فتيل(٦٠)

فخطف الياء من فعل (يغنى) لابد منه لضرورة الوزن • وقال :

أتت تبغي بعد البغي عفوا من امرىء
اذا لقى الجاني ابتـداه بمعـذره(٦١)

ففعل في كلمة (تبغي) ما فعل هناك •

وقد وقع الشيخ صالح التميمي في هذا الشذوذ فقال :

الى أي قطر من يد الموت نهرب
وهل ينجو منه مرسل أو مقرب(٦٢)

فخطف واو (ينجو) وربما كان الصحيح ولم ينج •

وقد حدث للسيد جعفر الحلي مثل ذلك فقال :

وهل تدري قسطنطين حين دخلتها
بان بها سعد العراقين داخل(٦٣)

---

(٦٠) المصدر نفسه ص : ١٠٥
(٦١) المصدر نفسه ص : ١٤٢
(٦٢) ديوان التميمى الورقة : ٥٦
(٦٣) سحر بابل ص ٣٦٥

فخطف ياء (تدري) ليستقيم له الوزن • وكذلك عبدالغني الجميل في قوله :

متى اهتمـوا في اسـعادنا للمـــة
ألمت بنـا أو اسعفونا فـلا عشنا(٦٤)

باختطاف واو (اهتموا) •

ومثلهم الأخرس في قوله :

هل تدري ما تحت الضلوع فانها كبد تذوب(٦٥)

فلابد من خطف ياء (تدري) ليستقيم الوزن •

اما ترك • المجزوم على حاله قبل دخول الجازم أو جزمه من غير أداة جازمة فهو شيء مستساغ عند هؤلاء الشعراء واذا كان في اللهجات الشاذة ما يبيح ذلك فان الشعر العربي في العصور المتفتحة قد تجنب تلك اللهجات وسار على القواعد المشهورة ، غير أن شعراء القرن التاسع عشر لم يستطيعوا غربلة شعرهم الى الحد الذي يكفل له السلامة من هذا العيب الجسيم ، ومن أمثلة ذلك قول الأخرس :

ويا سعد لا (تلحو) أخاك وقد مضى
بـه سهم راميـه أشـد مضاء(٦٦)

واذا كان من الجائز حذف واو (تلحو) فيدخل التفعيلة الزحاف المفرد وهو (الـكف) فان ذلك يعد عيبا في موسيقى الشعر وهو عمل نادر عند الشعراء •

وقول الأخرس أيضا :

يا عـين لا تلوين بي في عبـرة
لعـل أن يبتل بالمـاء صدى(٦٧)

---

(٦٤) مجموعة عبدالغفار الاخرس ص ٢٥
(٦٥) الطراز الانفس ص ٦١
(٦٦) المصدر نفسه ص ١٠
(٦٧) المصدر نفسه ص ٢٨

فابقى النون من فعل (تلوين) وهو مسبوق بحرف جزم • وقوله :

فخـــذ اللـــؤلؤ مـــن ألفـــاظه
واجتني ان شئت منهـا ضربا[٦٨]

بابقاء ياء (اجتن) • وقوله :

يا من يحدث عنـه العلم يسـنده
حدث عن البحر واروى من عجائبه[٦٩]

فقد ابقى الياء من فعلى (اجتنى) و (اروى) وهما فعلا أمر اما اذا حذفنا الياء اضطررنا الى مد الحركة ليستقيم الوزن وفي كلا العملين اسفاف ونقص • وابقى الفعل على حالته في قوله :

وانتهبنـا لـــذة ان تنقضـــي
يا نديمـــي أعقبتـــك النـــدما

وقوله :

ســـيد ان يعتـــزي أو ينتمـــي
فالى خـــير النبيـــين انتمـــى[٧٠]

فلم يجزم (ينقضى) و (يعتزى) و (ينتمى) لضرورة الوزن • وكذلك في قوله :

وانك ان تختـار غـــير رضـائه
كمن راح يختار الضلال عن الهدى[٧١]

والصحيح : ان (تختر) لولا ضرورة الوزن • وقوله :

والفرع كالأصل ان تزكو مغارسه
زكـا وأثمر في أوراقـه العـود[٧٢]

فلم يحذف الواو من (تزكو) واذا حـذفت فاما أن تمـد الحركة

---

(٦٨) المصدر نفسه ص ٣٥
(٦٩) المصدر نفسه ص ٣٦
(٧٠) مجموعة شعر للاخرس ــ الورقة ٢ من نسختى الخطية
(٧١) الطراز الانفس ص : ٩٦
(٧٢) المصدر نفسه ص : ١٥٤

للوزن وهو معيب واما ان لا تمد فيدخل التفعيلة طيّ وهو مخل بالبسيط ، والعمري يرفع المضارع بعد لم فيقول :

مضى عصر الصبا كزمان ورد
ولم يبقى عدمتك غير شوك
ألم يأنى لك الاقلاع عما
لسوء ختامه يسود صكي

فلم يحذف ياءى (يبقى) و (يأنى) لضرورة الوزن واذا حذفتا مراعاة للقاعدة النحوية اضطر الى ادخال الزحاف المركب في التفعيلة وهو زحاف النقص وهذا العمل مخل بموسيقى الوافر • ورفع الجزاء بعد الشرط المضارع على اللغة الضعيفة فقال :

ومن يك حب أهل البيت ذخرا
له ينجو غدا من غير شك(٧٣)

واذا فعلنا في هذا البيت ما فعلناه في سابقيه وقعنا في المحذور نفسه • كذلك رفع المضارع بعد لم لضرورة الوزن في قوله :

قد كلفوه للقضا فأبى ولم
يرضى وطال بسجنه استمراره(٧٤)

وعبدالغني الجميل ترك الأمر المعتل الآخر على حالته فقال :

واروى أحاديث الهوى يوم الندى
متسلسلا عن قلبي المحزون(٧٥)

واذا حذفنا ياء (ارو) ادخلنا الطى على التفعيلة وهو مخل بالكامل • وجزم هؤلاء الشعراء من غير جازم كقول التميمي :

ألا من منصفي من بعض قوم
ببغض المرد باتوا يعذلوني(٧٦)

وقول العمري من الوزن والقافية :

---

(٧٣) الترياق الفاروقى ص : ١١٧
(٧٤) المصدر نفسه ص : ٢١٣
(٧٥) مجموعة عبدالغفار الاخرس ص : ٤٢
(٧٦) ديوان التميمي الورقة : ٥٢

فقبلهـــا فمـــي ألفـــاً ونادى
مفاكهـــة لقـــوم يجهلـــوني[٧٧]

وقول الأخرس ولعله حذف أن الناصبة :

دلائل مـــا استطاعوا ينكروهـــا
وكيف الحق ينكر اذ تبدى[٧٨]

وقوله :

هبـوا انكـم لا تتقوهـا مآثمـاً
فهلاّ اتقيتم من ملام المفند[٧٩]

وقوله :

انت في العلـم واحـد لا يساو
وك مقـــاما ورتبـة وفخـارا[٨٠]

فجزم : ينكرون وتتقون ويساوون من غير جازم • وقد ذكرنا فيما سبق نوعا من أنواع الجزم من غير جازم وهو خطف حرف العلة في الافعال المضارعة •

وقد أجرى الأخرس المضارع المضعف مجرى المثال فقال :

مهمـــا تحـث لمطلب ومقصـــد
تقاصرت فيها فسيحات الخطا[٨١]

فسكن الثاء من (تحث) وحقها الفتح على الارجح •

وقد كثر عند هؤلاء الشعراء استعمال لغة أكلوني البراغيث حتى لتكاد تكون ظاهرة بارزة وهم في غنى عنها[٨٢] واقبح شيء أن تكون هذه مستعملة

---

(٧٧) الترياق الفاروقى ص ٢٤٤
(٧٨) الطراز الانفس ص : ٨٤
(٧٩) المصدر السابق ص ١٥٧
(٨٠) المصدر نفسه ص١٨٤
(٨١) المصدر نفسه ص ٢٨
(٨٢) راجع المصدر السابق ص ٩٤ والترياق الفاروقى ص١١٧ و ١٦٧ و٢٤١ ومجموعة عبدالغفار الاخرس ص٢٥ وسحر بابل ص: ٥٣ و١٢٤ و٣٨٣ وديوان السيد حيدر الحلى ص٢٢٩ ط الهند

بين المثنى والجمع وهو غير مألوف كما في قول الأخرس :

ان تكن عيناك انكرن دمي
فبه خداك عمدا قد أقرّا[٨٣]

فقد أعاد ضمير النسوة على المثنى •

وقد وقع الأخرس أكثر من غيره في الأخطاء النحوية كاضافة الموصوف الى الصفة وذلك في قوله :

عروة الوثقى ومنهاج الهدى
كشفوا عن اوجه الحق حجابا[٨٤]

والصحيح : العروة الوثقى • وقوله :

لهم من العلياء ان ساهموا
سهم المعلّى من سهام القداح[٨٥]

يريد به : السهم المعلّى ، وقوله :

اقام شريعة الغراء فيه
وشد به لدين الله عضد[٨٦]

يريد : الشريعة الغراء • وقد رفع خبر ليس في قوله :

تحدثنا بآمال طوال
وليس حديثها الا افتراء[٨٧]

ولا سبيل الى النصب لان القافية مرفوعة • ونصب اسم كان في قوله :

وبحر ما له جزر ولكن
يكون له مدى الايام مدا[٨٨]

الا اذا اعربنا (مدى) اسما لها • ورفع مفعول ظن فقال :

---

(٨٣) الطراز الانفس ص ١٨٧
(٨٤) المصدر نفسه ص ٤٢
(٨٥) المصدر نفسه ص ٧٥
(٨٦) المصدر نفسه ص ٨٦
(٨٧) المصدر السابق ص ١٦
(٨٨) المصدر نفسه ص ٨٤

قضيت وما انقضى كمدي وحزني
عليك وما أظن لـه انقضاء[٨٩]

وهو جائز على مذهب الـكوفيين • ونصب نائب الفاعل في قوله :

موطـــن تنزل الملائكـــة فيـــه
ومقام يسر فيه (الفؤادا)[٩٠]

وفتح آخر جمع المؤنث السالم فقال :

يا أطيـب القـوم الذين ألفتهـم
في الناجبـين خلائقـا وذواتا
وفقدت منـه فرائـدا وفوائـدا
ومكارما ومغانمـا وصفـاتا[٩١]

وقطع الصفة عن موصوفها على اللغة الضعيفة فقال :

وهـل اودى بهـا يومـا وقوف
عـلى رسـم ومرتبع خـلاء[٩٢]

والقافية مرفوعة • ورفع اسم ان في قوله :

ولا ارجّـــى نـــدى بخيـــل
لو أن في كفـــه الغمـــام[٩٣]

والقافية مرفوعة ، ونصب المضاف اليه لضرورة القافية فقال :

اخـذت بصـالح الاعمـال تقضى
بامـر الله ليلك مـع نهارك[٩٤]

فنصب (نهارك) وهو مضاف اليه لأن القافيـة مفتوحة • وعطف المنصوب على المرفوع فقال :

---

(٨٩) المصدر نفسه ص ١٨
(٩٠) المصدر نفسه ص٨١
(٩١) المصدر نفسه ص ٧٠
(٩٢) المصدر نفسه ص ٢٠
(٩٣) مجموعة شعر للاخرس الورقة ١٤
(٩٤) المصدر نفسه والورقة نفسها

قـوام الدين والدنيـا جميعـا
وسيف الله والركن الاشدا[٩٥]

فنصب الركن وصفته لضرورة القافية • ورفع الحال المفرد فقال :

يريني ندى عبـدالغني قطـارها
على الـكبد الحـرى ألذ وابرد[٩٦]

فرفع (الذ وابرد) لضرورة القافية • وكسر البدل من مفعول التعجب أو صفته لضرورة الشعر فقال :

واعـدت الحديث عنـه فقالوا
ما أحيلى هذا الحديث المعاد[٩٧]

والقافية مكسورة •

اما السيد جعفر الحلي فقـد أبقى خبر كان المنقوص غير منصوب فقال :

وكـان كميت الغى مرخ عنـانه
فاصبح في يمناك وهو ابن ملجم[٩٨]

واذا كان هذا قد يغتفر للشاعر فرفع الخبر وهو صحيح الآخر غير جائز كما في قوله :

هنيئـا لعينيـك العـلى يا ابن جـابر
ولا زال طير السعد فوقك صادح[٩٩]

برفع (صادح) لأن القافية مرفوعة •

وجعل الأخرس (خلا) وهي حرف جر خبرا لـكان فقال :

ذريني يا أميـم من الأمـاني
فما كانت خلا وعد كذاب[١٠٠]

---

(٩٥) الطراز الانفس ص ١٠٣
(٩٦) المصدر نفسه ص ٩٧
(٩٧) المصد رنفسه ص ١٢٣
(٩٨) سحر بابل ص : ٣٨٣
(٩٩) المصدر نفسه ص ٩٩
(١٠٠) الطراز الانفس ص : ٥٦

أما قوله :

كـــأن الله وكلّـــه برزقـــي

وحولني عـلى نعـم الوكيل[١٠١]

فيمكن حمله على مذهب الكوفيين في اسمية نعم وبئس •

واضطربت القاعدة النحوية عند التميمي في قوله :

اذا وعدت حيـــا يكاد وعيـــدها

اذا ماهوى بطشا له العفو يخلف[١٠٢]

فان فعل (يخلف) مع فاعله خبر (يكاد) ولـكنه لم يرفع ضمير اسم (يكاد) بل رفع ضمير (العفو)[١٠٣] •

ربما كان هذا الذي استعرضناه غير قليل في بحث موجز ولـكنه قليـل حين يقاس بمـا شاع على ألسنة هؤلاء الشعراء ولاسيما الأخرس والعمري • ولو أننـا تصفحنا دواوين هؤلاء واستقريناها استقراء دقيقـا لخرجنا بالـكثير مما لم تسعه اللغة العربية الفصحى أو ما لم يسعه سوى اللهجات الشاذة والآراء الضعيفة •

وربما كان هـذا البحث تمهيدا ـ أو شبه تمهيد ـ لدراسة موسعة تتناول غير هذه النواحي التي استعرضناها كالأساليب والأشكال التي عبروا بها عن أغراضهم ، وكالخروج على مقاييس الاوزان والقوافي[١٠٤] •

ونحن حين نتناول هؤلاء الشعراء بمثل هذه الدراسة التي قد لا تتجاوز النقد اللفظي ـ على الأكثر ـ نشعر بأننا مدينون لهم في وصل الحاضر بالماضي وفي بناء نهضة شعرية لا سبيل الى نكرانها والحط من قيمتها على ما فيها من مآخذ •

---

(١٠١) المصدر نفسه ص : ٢٩١

(١٠٢) ديوان التميمى الورقة : ٣٣

(١٠٣) مطالع السعود الورقتان : ١٢٣ـ١٢٤ وقد رواه : (اذا ماقضى امرا له العفو •••)

(١٠٤) يراجع على سبيـــل المثال (الطراز الانفس) ص١٠٢ و١٠٤ و١١٧ والترياق الفاروقى ص : ١١٧

مراجـــع البحث

١ ـ الاسلام والحضارة العربية ـ محمد كرد على ـ مطبعة دار الكتب ـ مصر ١٩٣٤م ٠

٢ ـ اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث ـ لونكريك ـ ترجمة جعفر خياط الطبعة الثانية ـ بيروت ٠

٣ ـ الترياق الفاروقى ـ مطبعة محمدعلى ـ مصر ١٣١٦هـ ٠

٤ ـ جريدة الزوراء السنة السابعة ١٢٩٢هـ بغداد ٠

٥ ـ حولية الثقافة العربية ـ ساطع الحصرى ـ القاهرة ٠

٦ ـ ديوان السيد ابراهيم الطباطبائى ـ العرفان ـ صيدا ـ ١٣٣١هـ ٠

٧ ـ ديوان التميمى ـ صالح ـ مخطوطة ـ مكتبة كاتب البحث ٠

٨ ـ ديوان السيد حيدر الحلى ـ طبع الهند ٠

٩ ـ روض الخل والخليل ـ ديوان السيد عبدالجليل البصرى ٠ طبعة مصر والهند ٠

١٠ـ سالنامة بغداد ـ الدفعة ٢٢ لسنة ١٣٢٩هـ بغداد مطبعة الشابندر٠

١١ـ سحر بابل ـ مطبعة العرفان صيدا ـ

١٢ـ الشعر السياسى العراقى فى القرن التاسع عشر لكاتب البحث ـ بغداد مطبعة العانى ١٩٦١ ٠

١٣ـ الطراز الانفس ـ الاخرس ـ اصطنبول ١٣٠٤هـ ٠

١٤ـ العراق ـ دراسة فى تطوره السياسى ـ ايرلاند ـ ترجمة جعفـر خياط ـ دار الكشاف ـ بيروت ١٩٤٩م ٠

١٥ـ غرائب الاغتراب لابى الثناء الآلوسى ـ بغداد ٠

١٦ـ الكتاب لسيبويه بولاق ط ـ١ـ سنة ١٣١٧هـ ٠

١٧ـ كشف الطرة عن الغرة لابى الثناء الآلوسى ٠

١٨ـ مجموعة شعر للاخرس ـ مخطوطة فى مكتبة كاتب البحث ٠

١٩ـ مجموعة عبدالغفار الاخرس ـ طبع شركة التجارة والطباعة ـ بغداد٠

٢٠ـ المسك الاذفر ـ محمود شكرى الآلوسى ـ مطبعة الآداب ـ بغـداد ١٩٣٠م ٠

٢١ـ مطالع السعود ـ عثمان بن سند ـ مخطوطة المتحف ـ بغداد ٠